﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهًا ٣٨﴾ [الإسراء: 38]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

إنَّ مِنْ شُكْرِ اللهِ على إحْسانِهِ الإقْبالَ عَلَيْهِ والإعْراضَ عَمّا سِواه

تجاورَتِ الآيتانِ؛ ليَظْهَرَ إحسانُ اللّه إلى نبيهِ ورسولِه؛ بإحسانِه إلى أُمّته؛ بعدمِ تعجيلِ العذابِ لهم في الدّنيا، فإنّ آيةَ: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾ مشتملةٌ على صورةٍ مِن صورِ الإفسادِ في الأرض، فهي تشيرُ إلى صورةٍ يكونُ فيها الإنسانُ مُقْبِلًا على غيرِ اللّه؛ مِنَ الشّهوات والآمال ورعوناتِ النّفس ونقائصِها، مُعْرِضًا عنه؛ معَ أنَّ هذا ضِدّ كونِه خليفةَ اللّهِ في أرضِه؛ على ما يُفْهِمُه التّقييدُ بقولِه: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ على خِلافِ الظّاهرِ؛ فقبَّحَها القرآنُ، ونفَّرَ منها أبلغَ تنفيرٍ؛ بأن جعَل جارَها قولَه تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهًا﴾؛ فهو أبلغُ ما تصْدُقُ عليه هذه الجملةُ ممّا سبقَ سوءًا وقُبحًا؛ بدلالةِ المجاورةِ؛ ليتخلَّى الإنسانُ عنها، فيُقْبِلَ على خالقِه بكُلّيَّتِه، ويُعرِضَ عن كلّ ما سواه، وذلك هو المقصودُ الأعظمُ للسّورةِ عند البقاعيِّ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَيِّئُهُۥ﴾: أَصْلُ السّوءِ: القُبْحُ، وضِدُّه: الحُسْنُ[2]، والسّوءُ: الشَّرُّ والفَسادُ، يُقالُ: عَمِلَ سوءًا، أي: شَرًّا وفَسادًا[3]، والسّوءُ أيضًا: الحُزْنُ والغَمُّ، ويأتي بمعنى الضَّرَرِ والأَذَى، كقولِهم: بَلَغَهُ السّوءُ، أي: الضُّرُّ، وكُلُّ ما يُكْرَهُ فهو سوءٌ[4]، والإساءَةُ: فِعْلُ الشَّرِّ وما يُكْرَهُ، والسَّيِّئُ والسَّيئة: عَمَلان قبيحان؛ يصير السَّيِّئُ نَعْتًا للذَّكَر مِنَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/ 327.
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سوأ).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (سوأ).
(4) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (سوأ).

الأَعْمال، والسَّيِّئَةُ للأُنثى، واللّه يَعْفو عَن السّيِّئات، والسَّيِّئَة: اسْمٌ كالخَطيئة[1]، والمرادُ بالسَّيِّئِ في الآية: القبيحُ المَنهيُّ عنه فيما تقدَّم، وأمّا المأمور به، فلا يكون سيِّئًا[2].

2) ﴿مَكْرُوهًا﴾: أصلُ (كَرِهَ): يَدُلُّ على خِلافِ الرِّضا والمَحَبَّة، يُقالُ: كَرِهْتُ الشَّيْءَ أَكْرَهُهُ كَرْهًا، والكُرْهُ الاسْمُ[3]، والمَكْروهُ: المَذموم، والكَراهَةُ: البُغْضُ، تَقولُ: كَرِهَ الشَّيْءَ يَكْرَهُهُ كَراهَةً، إذا أَبْغَضَه وذَمَّهُ وَلَمْ يُرِدْهُ، وَضِدُّهُ: المَحْبوبُ[4]، وَيَأْتي المَكْروهُ بِمَعْنَى: القَبيحُ، يُقالُ: كَرُهَ المَنْظَرُ إذا قَبُحَ، وَفِعْلٌ كَرْهٌ وكَريهٌ، أَيْ: قَبيحٌ، والكَراهَة أيضًا: مِنَ الكُرْهِ أَوِ الكَرْهِ، وهوَ المَشَقَّةُ والشِّدَّةُ، يُقالُ: قُمْتُ على كُرْهٍ، أَي: على مشقَّةٍ، وَمِنْهُ سُمِّيَت الحَرْبُ: كَريهَةً[5]، والمَكارِهُ: الشَّدائِدُ، والمَكْروهُ أيضًا: ما يَكْرَهُهُ الإِنْسانُ وَيَشُقُّ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ ما نَفَرَ عَنْهُ الشَّرْعُ والطَّبْعُ: مَكْروهًا؛ لِأَنَّ الطَّبْعَ والشَّرْعَ لا يُنَفِّرانِ إِلّا عَنْ شِدَّةٍ وَمَشَقَّةٍ تَلْحَقُ بِالْمُكَلَّفِ[6]، والمقصود بالمكروه في الآية: المَذموم، والمُراد به التَّشْنيع، أَيْ: مَكْروهًا فِعْلُهُ مِنْ فاعِلِهِ[7].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

ختَم اللّهُ تعالى تلك النَّواهيَ بقولِه: جميعُ ما ذُكِرَ في الآياتِ السّابقةِ مِنَ الأوامِرِ والنَّواهي، كان سَيِّئُه – وهو ما نهَى اللّهُ عنه – قَبيحًا مُبغَضًا عندَ رَبِّك، الَّذي أحسَنَ إليك إحسانًا لا ينبغي أن يُقابَل عليه إلّا بالشُّكرِ – يا مُحَمَّدُ ﷺ[8].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

المُناسبة بَيْنَ الآية وجميع ما قبلَها مِنَ النّواهي والأوامر، وسِرُّ الفصل فيها:

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ "تذييل للجُمَل المُتقدّمَة، ابتداءً مِن قوله تعالى: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23]، باعتبار ما اشتملت عليه مِنَ

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سوأ).
(2) الدُّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 5/ 340.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كره).
(4) ابن دريد، جمهرة اللّغة، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (كره).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كره).
(6) الرّاغب، المفردات، والزَّبيديّ، تاج العروس: (كره).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 105.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 599، 600، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 77، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 416.

التّحذيرات والنّواهي، فكلّ جملة فيها أمرٌ هي مقتضيةٌ نهيًا عن ضِدِّه، وكلّ جملة فيها نهيٌ هي مقتضيةٌ شيئًا مَنهيًّا عنه، فقولُه: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23] يقتضي عبادةً مذمومةً منهيًا عنها، وقولُه: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: 23] يقتضي إساءةً منهيًّا عنها، وعلى هذا القياس"[1].

تذييلُ الجمل السَّابقة بما هو نتيجة لها وحُكمٌ عليها

الغرض الذي سيقت له الآية:

هذه الآيةُ "سيقت؛ لغرض التّنفير مِنَ الإقبال على شيء مِن هذه المَنهيّات صراحةً وضِمنًا، وزَجْرِ ورَدْعِ مَن يعملُها أو بعضَها؛ فقد وَصَفَتْها بأنّها أمورٌ سيِّئَةٌ، أي: في نفسها، وتسوءُ إلى صاحبها، فهي غير صالحة ولا مُصلِحة، فالسَّيِّئُ ضِدّ الأصلح، وأنّها مكروهةٌ قبيحةٌ عند الله تعالى، لا يُحِبّها، ولا يرضاها بحالٍ مِنَ الأحوال، ولا يأمر بها، ألا ترى أنّ وَصْفَ المَنهيِّ عنه السَّيِّئ أو السّيِّئة "بمُطْلَق الكراهة مع أن البعض مِنَ الكبائر؛ للإيذان بأنّ مُجرّد الكراهةِ عندَه تعالى كافيَةٌ في وجوب الانتهاء عن ذلك"[2]؟!، وقبل هذه الآية جملةٌ مِنَ الأوامر والنّواهي التي بتحقيقها يتحقَّقُ إقبالُ العبد إلى ربّه تعالى وحدَه، وبتركها لا يكون ذلك الإقبالُ، وبقدْر التّقصير فيها يكون ضَعْفُ الإقبال[3].

التنفير مِن الإقبال على المنهيات المذكورة مِن قبل

دلالةُ عدمِ التّصريحِ بكون الأُمور المأمور بها حَسَنةً:

"وإنّما اعتُبِر ما في المَذكورات من معاني النّهي؛ لأنّ الأهمّ هو الإقلاع عمّا يقتضيه جميعُها مِنَ المفاسد بالصّراحة أو بالالتزام؛ لأنّ دَرْءَ المفاسدِ أَهَمّ مِن جَلْب المصالح في الاعتبار، وإن كانا مُتلازمين في مثل هذا"[4]، فعَدَمُ التّصريح هو الأَليقُ بما سيقت له الآيةُ مِن غرضٍ مَضَى تقريرُه.

الأهمّ هو الإقلاع عنِ المنهي عنه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 104.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 172، والآلوسيّ، روح المعاني: 15/ 76، وينظر: طه السّيّد محمود، البلاغة القرآنيّة في تفسير البقاعيّ (التذكير والتأنيث أنموذجا): 1/ 519.

(3) طه السّيّد محمود، البلاغة القرآنيّة في تفسير البقاعيّ (التذكير والتأنيث أنموذجا): 1/ 519.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 105.

سِرُّ التَّعبير باسم الإشارة: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدَّالِّ على البُعْد:

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الخصال الخمسِ والعِشرين المَذكورة، مِن قوله تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: 22][1]، إلى الآية التي قبل آية اسم الإشارة مباشرةً، أي: مِنَ الجَعل مع الله سبحانه إلهًا آخَر، وعبادةِ غيرِه تعالى، والتّأفيفِ، والنّهْر، والتّبذير، وجعلِ اليَدِ مغلولةً إلى العُنق وبسطها كلّ البسط، وقتلِ الأولاد خشيةَ إملاقٍ، وقتلِ النّفس التي حَرّم اللّهُ تعالى إلّا بالحَقّ، وإسرافِ الولي في القتل، وقفوِ ما ليس بمعلوم، والمَشي في الأرض مَرحًا، كلّ ذلك كان مكروهًا عند ربّك، أي: مبغوضًا عنده[2]، والبُعدُ في اسم الإشارة على خلافِ الظّاهر؛ إذِ الأصل والظّاهرُ التّعبيرُ باسم الإشارة للقريبِ؛ لقُرب المُشار إليه مِن اسم الإشارة، وهذا البُعدُ بُعْدُ مكانةٍ، فهو يعني التّعظيمَ والتّفخيمَ؛ بقرينةِ اختصاصِ ما يَرجِعُ إليه اسمُ الإشارةِ بالذِّكْرِ؛ تنبيهًا إلى أهمّيته وخَطَرِه في بابِه.

"وفي اسم الإشارة البعيد أيضًا: إشارةٌ إلى تناهي الأوامرِ السّابقة في باب الفضائلِ والمكارم والمحاسن، ورسوخِها في هذا الباب، وبُعْدِ المنهيِّ عنه من ذلك الباب، وتناهيهِ ورسوخِهِ في باب الرّذائِل والقبائح والمَساوئ، قال البقاعيّ: "﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرِ البعيدِ مِنَ المَكارِم"[3].

ويُؤَنِّسُ بهذا ويُؤيدُه التّعبيرُ بمادة الكون: ﴿كَانَ﴾، مع إمكان الاستغناء عنه في الظّاهر؛ حيثُ يجوز أن يُقال في غير القرآن: (كلُّ ذلك سيئُهُ عند ربّكَ مكروهٌ)، و(كلُّ ذلك سيئةٌ عند ربّكَ مكروهةٌ)، فهو دالٌّ على ما يتعلّق بالنّواهي صراحةً، وعلى ما يتعلّق بالأوامر ضمنًا، ودلالتُه على هذا الثّاني مع قراءة الإضافة، أقوى منه مع قراءة غير الإضافة، واستمرارُ العمل بمقتضى الأوامر والنّواهي في الشّرع قرينةٌ على أنّ فعل الكون هنا معناه الدّوامُ والاستمرارُ، قال البقاعي: "﴿كَانَ﴾ أي: كونا غيرَ مُزايل، ... ومِن حكمة هذه الأشياء المُشارِ إليها مِن الأوامر والنّواهي أنّها لم تَقْبل النّسخَ في شريعةٍ مِنَ الشّرائع، بل كانت هكذا في كلّ مِلّةٍ"[4].

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 255.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 73، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 15/ 47.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/ 381.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/ 381 - 382، وينظر: طه السّيّد محمود، البلاغة القرآنيّة في تفسير البقاعيّ (التذكير والتأنيث أنموذجا): 1/ 532.

بلاغةُ العدولِ عنِ الجمع إلى الإفراد في ﴿ذَٰلِكَ﴾:

الـدّلالـة على الأُلـوهـيّـة، وسهولةُ تحقيقِ المطلوب أمـرًا ونهيًا

في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ عدَلَ التّنزيلُ الكريمَ عنِ الجَمْع إلى المُفْرد في اسم الإشارة: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ "فإنّ المُراد به جميعُ ما تقدّم مِنَ الأوامر والنّواهي الصّريحة والضّمنيّة على القراءة الأولى، وهي قراءة الإضافة، وأنّ المُراد به مجموعةُ النّواهي الصّريحة والضّمنيّة على القراءة الثّانية.

وفي الإفراد: تنبيهٌ على استواء هذه الأمور في التّعلّق بعِلْم الله تعالى، فَعِلْمُه تعالى بالحُسْن والسّوء فيها كعِلْمه بهما في شيء واحدٍ منها، فالإفرادُ دالٌّ على الأُلوهيّة، وفي هذا مِنَ التّرغيبِ في فعل المأمور به، والتّرهيبِ مِن فعل المَنهيِّ عنه ما فيه، وفيه أيضًا: إشارةٌ إلى شِدّة القُرب والتّقارُب بينَ هذه الأمور، وما بينَها مِن رَحِمٍ وتناسبٍ، وفي هذا حَثٌّ على تدبُّرها مِن هذه الجهة.

وفيه أيضًا: إرشادٌ إلى أنّ تحقيقَ الاستجابةِ لما أمَر به تعالى، والانتهاءِ عمّا نهى عنه، أمرٌ قريبٌ سهلٌ مُمْكِنٌ.

وفيه أيضًا: تنبيهٌ على وَحْدَة الغَرضِ العامِّ مِن كلّ تلك الأمور، وهو صلاحُ العبد في نفسه، ومع غيرِه، ومع ربّه، وبذلك يتحقَّقُ كمالُ إقْبالِه على مولاه سبحانه.

وفيه أيضًا: أنّ بعض هذه الأمورِ يُكَمِّل بعضُها بعضًا، وأنّ الإنسان يفتقِرُ إلى جميعها، فهي أجزاءُ شيءٍ واحدٍ، لا تناقض بينَها، ولا تعاند، ولا تنافي"[1].

بلاغةُ التّعبير بالفعل الماضي: ﴿كَانَ﴾:

تحقيقُ معنى الآية وحَسْمُه؛ إيقاظًا للمُتَلقّي

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾، مِنَ الظّاهر كونُ مضمونِ الآية كائنًا في جميع الأزمنة بالنّسبة للمُتَلقّي،

(1) طه السّيّد محمود، البلاغة القرآنيّة في تفسير البقاعيّ (التذكير والتأنيث أنموذجا): 1/ 526 - 527.

فلماذا اصطفى القرآنُ الفعلَ الماضي: ﴿كَانَ﴾؟، والجواب: في التّعبيرِ به "دلالةٌ على أنّ معنى الآية أمرٌ مُحقَّقٌ مَحْسوم، قضى بهِ اللّهُ تعالى، وكلُّ أولئك إيقاظٌ وإحْياءٌ لفطرة العبدِ وقلبه؛ كي يُقبِل على مولاه سبحانه حَقَّ الإقبال عليه، فيكونَ مِنَ المتّقين المُحسنين"[1].

بلاغة التّذكير والتّأنيث والإفراد في القراءتين:

تكليفُ العظيمِ عظيمٌ

في الآية قراءتانِ متواترتانِ في كلمة ﴿سَيِّئُهُۥ﴾؛ قرأ ابن عامر والكوفيّون بضمّ الهمزة وضمّ الهاء وصلتها، والباقون بفتح الهمزة وتاء تأنيث مفتوحة منوّنة، فصارت القراءاتان: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾، والأخرى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[2]؛ فأمّا تذكير قولِه تعالى: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ فهو تنبيهٌ على هَيْبَة تلك الأوامر والنّواهي في ذاتها؛ مِن حيثُ إنّها أوامر ونواهي اللّهِ العظيم ذي الجلال والإكرام، الذي يجب له كلّ كمال، ويستحيل عليه كلّ نقصان، فعلى العبد أن لا يَغْفُلَ عنها، ولا يستهينَ بها.

وإساءةُ تلك الأمور القبيحة التي يبغضها اللّهُ تعالى عظيمة شديدةٌ، تستوجب غضبًا وعقابًا شديديْن، فبيّن تذكير (سَيِّئ) وهذه العناصر مِنَ التّناسب ما ترى، ويكمنُ ضمن تذكير معنى الكره في: ﴿مَكْرُوهًا﴾، وفي هذا التّذكير أيضًا: إيماءٌ إلى قوّة معنى: ﴿مَكْرُوهًا﴾ وشدّته، وفي هذا تحقيق للتّنفير المقصود ما فيه، وتحقيقٌ للتّرغيب أيضًا، وفي تذكير: (سَيِّئ) و: ﴿مَكْرُوهًا﴾ أيضًا: إشعارٌ بحصول غضب الله تعالى لمَن يقع في واحدة مِن هذه الأمور المنهيِّ عنها.

وفي إفراد السَّيِّئ في قوله: ﴿سَيِّئَةً﴾ على القراءة المتواترة إشارةٌ إلى حقارته وضعفه وبطلانه في ذاته، وفي ميزان الله تعالى؛ حيثُ هي أمور مكروهة عند الله، وفي جانب إحسانه سبحانه، وينسجم مع

(1) طه السّيّد محمود، البلاغة القرآنيّة في تفسير البقاعيّ (التذكير والتأنيث أنموذجا): 1/ 533.
(2) ابن الجزري، النشر: 2/ 307.

الإفراد في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾، وفي كلّ هذا إبلاغٌ في تحقيق التّنفيرِ المقصودِ السّياقيِّ، وما كان هذا شأنه فلا بدّ أن يكون مكروهًا على أعلى وأبلغ ما تكون كراهةٌ، فالتّأنيث والإفراد تمهيد للتّذكير في: ﴿مَكْرُوهًا﴾[1].

سِرّ زيادةِ شبه الجملة: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾:

الأصلُ في بناءِ الجملةِ صناعةً المُسنَدُ إليه؛ وهو هنا: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾، والمُسنَدُ، وهو هنا: ﴿مَكْرُوهًا﴾، فلماذا زيدَ في بنائها قولُه: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾؟

تشنيع الحال التي عليها أهلُ العصيان، والترغيبُ في مقابلةِ الإحسان بالإحسان

والجواب: لتشنيع الحالة وتبشيعها، أي: مكروهًا فعلُه مِن فاعله، وفيه تعريضٌ بأنّ فاعله مكروهٌ عند اللّه[2]، وفيه ترغيبٌ عظيمٌ في تحقيقِ ما يأمرهم بهِ اللّهُ وما ينهاهم عنه، وفي تحقيقه على جهة الإتقان؛ لأنّه سبحانه المُحْسِن إليهم؛ بدلالة التّعبير بالرّبّ؛ فهل جزاءُ الإحسان إلّا الإحسان؟!.

بلاغةُ تقديم: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ على: ﴿مَكْرُوهًا﴾:

الاهتمام بالظّرف المضاف لاسم الجلالة

قولُه: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ متعلّق باسم المفعول: ﴿مَكْرُوهًا﴾، أي: هو مذمومٌ عند اللّه، فتقديمُه عليه؛ للاهتمام بالظّرف؛ إذ هو مضاف لاسم الجلالة[3]، ووجهُ الاهتمام: الإبلاغُ في تحقيق المطلوب مِن ذي الجلال والإكرام، ممّا يتعلّق بشأن الأوامر والنّواهي في سياقِ السّباق على وجه السّرعة.

بلاغةُ تعميمِ وصفِ المُشار إليه بالكراهة:

الإيذانُ بأنَّ مُجرَّدَ الكراهةِ عنده تعالى كافيةٌ في وُجوبِ الانتهاءِ

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾، وصفُ ذلك بمُطلَقِ الكراهةِ هو وصفٌ لجميع أفرادِ المُشار إليه بها؛ لأنّه تلخيصٌ لها، وقد كان ذلك، مع أنَّ بعضَ المشار إليه مِنَ الكبائرِ؛

(1) طه السّيّد محمود، البلاغة القرآنيّة في تفسير البقاعيّ (التذكير والتأنيث أنموذجا): 1/ 527 - 531.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/ 381، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 105.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 105.

للإيذانِ بأنَّ مُجرَّدَ الكراهةِ عنده تَعالى كافيَةٌ في وُجوبِ الانتهاءِ عن ذلك[1].

توجُّهُ الخطابِ في قوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾:

ناسب الخطاب بالإفراد في قوله سبحانه: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ مع السياق في التذكير في ﴿ذَٰلِكَ﴾، و﴿كَانَ﴾ و ﴿مَكْرُوهًا﴾ وفي سياق الرّبوبية، وفي سياق الإفراد في ﴿ذَٰلِكَ﴾، و﴿سَيِّئُهُۥ﴾، حيث إن كاف الخطاب في ﴿رَبِّكَ﴾ عائد على سيّدنا رسول اللّهِ محمّد ﷺ؛ فعليه يَعْظُم شأنُ المعنى، وشأنُ تلك الأوامرِ والنّواهي، فأعظمُ الخَلْقِ على الإطلاق الذي غَفَر اللّهُ له ما تقدّم مِن ذنبه وما تأخَّرَ: مأمورٌ بها، ومنهيٌّ عنها، فكيف بمَن هو أدنى منه؟!، ومراتبُ هذا الأدنى كثيرةٌ، لا تكاد تَنحصرُ.

ثمّ شأنُ المُحِبِّ أن يفعل فِعْلَ حبيبه، ومِنَ الإيمان حُبُّ رسولِ اللّه ﷺ، وأن يكون حُبُّه أعلى وأعظمَ وأشَدَّ مِن حُبّ الإنسانِ نَفْسَه.

وأيضًا في كون الخطاب لرسول اللّه: إشعارٌ بأنّه البالغُ فيه حَدًّا لا يبلغُهُ أحدٌ غيرُه مِنَ البَشَر؛ لأنّه ليس كمثله أحدٌ مِنَ البشر في باب كمالِ وتمامِ العِلْم بمُراد اللّه ﷻ؛ لأنّ القوّة العمليّةَ مبنيّةٌ على القوّة العِلْميّة، والبقاعيّ نبَّه على هذا[2].

ويجوز أن يكون الخطابُ عامًّا لكلّ مَن يَصِحُّ أن يُخاطَب به، والغرضُ منه حَثُّ كلّ فردٍ على حِدَةٍ على فعلِ المأمور به، وتركِ المنهيِّ عنه؛ لأنّ كلّ واحد سيُسأل عن نفسه أولًا، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدّثر: 38].

فائدة التعبير بالرّبوبيّة في: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾:

وفي التّعبير بالرّبّ - أيضًا - دون اسم الجلالة: إنكارٌ توبيخيٌّ

خَسِر مَن قابل رحمة الرّبوبية بسَوءة العِصيان

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 172.

(2) قال البقاعيّ: "ويجوز أن يكون المراد بهذا الإفراد النّبيّ ﷺ، إشارةً إلى أنّه لا يقْدِر أحدٌ غيرُه على امتثال هذا المعنى على ما ينبغي، لأنّه لا يعلم أحدٌ العلمَ على ما هو عليه سواء، ولأنّ الرّأس إذا خُوطِب بشيء كان الأتباعُ له أقْبَلَ، وبه أعنى"، يُنظر: البقاعي، نظم الدّرر: 4/ 381.

خفيٌّ على مَن يأتي هذه الأمورَ المنهيَّ عنها، كيف يقابل إحسانَ اللّه تعالى إليه بالمعصية؟!، ففيه تبشيعٌ لحاله، وتشهيرٌ بمقابلته الإحسانَ بالإساءة!، وفيه أيضًا: تهديدٌ خفيٌّ بقطع الإحسان عنه؛ فإنّ المعاصي تُزيل النّعم، وتجلِبُ النِّقَمَ، وإنّ اللّه لا يُغَيِّر ما بقوم حتّى يُغَيِّروا ما بأنفسهم[1].

وفيه أيضًا: إشارةٌ لنا إلى "أنّ مِن تمام حِكْمة التّربية وحُسْنِ التّدبير أنّ هذه المنهيّات في حُكْم اللّه وتقديرِه سيّئةٌ وخيمةُ العاقبة"[2]، يؤيّدُ هذا قولُه سبحانه في اللّحاق: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩﴾ [الإسراء: 39]، فاللّهُ تعالى لا يرضى لعباده شيئًا مِنَ السّوء أبدًا، فالتّعبيرُ به يُرَهِّب ويُرَغِّب أيضًا كباقي العناصر، وفي إفراد السَّيِّئ والسّيّئة والكراهة أيضًا: تنبيهٌ على تساويها واتّحادِها في معنى هذه الكلمات المُفرَدة"[3].

(1) وذكر الطاهر فائدةَ تشنيع الحالة، ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 105.
(2) إبراهيم خليفة، دراسات في تفسير القرآن، ص: 226.
(3) طه السيد محمود، البلاغة القرآنية في تفسير البقاعي (التذكير والتأنيث أنموذجا): 1/ 527 - 531.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»